أبو ذر الهروي وأثره في المذهبين المالكي والأشعري (355-435هـ)

Abu Dhar Al-Harawi and his impact on the Maliki and Ash`ari schools of thought

أ د. محمد عبد الحليم بيشي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر

halimbichi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023 /02/19 تاريخ القبول: 2023 /03/27 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

على حين من انصرام المذهب المالكي من الحجاز وحاضنته الأولى المدينة المنورة في القرنين الرابع والخامس، لأسباب متعددة أهمها صعود القرن الشيعي الإسماعيلي في الشطر الغربي من العالم الإسلامي وقيام الدولة الفاطمية التي جنّدت كل قوتها لنشره، من جهة أولى، وتحجيم التسنّن من جهة أخرى، وكذا لتضعضع الأوضاع السياسية في الحجاز بسبب عدم استقرار الحكم في مكة الخاضعة لنفوذ الأشراف، برز أعلام قليلون جاورا الحرم المكي، وكان لهم الفضل الكبير في بعث الدرس العلمي المالكي، ومن أهمهم أبو ذر الهروي الذي كان القنطرة الكبرى لعبور صحيح البخاري إلى الغرب الإسلامي، وكذا المذهب الأشعري الذي دان به المالكية وأطبقوا عليه بعد القرن الخامس الهجري.

والورقة تناقش إشكاليات متعلقة بمسببات انحسار المذهب المالكي في الحجاز والمشرق في أيام تضاؤل المدرسة العراقية وانقراض مدرسة المدينة، والنشاط الآخر في المدارس الأخرى في مصر والقيروان والأندلس، وتبحث عن الدور المركزي لأبي ذر الهروي في ذلك، وأسباب مجاورته للحرم، وعلاقاتها بالمحن التي نالت أهل السنّة في العهد البويهي.

* المؤلف المرسل

وتهدف الورقة إلى استجلاء الوضع العلمي والتعليمي، ورسم خريطة مذهبية للحجاز أيام سيطرة الفاطميين وحلفائهم القرامطة على الجزيرة العربية، والكشف عن الأدوار العلمائية المالكية، وخاصة في الرحلات الحجية المنزورة في تلك الفترة.

وهي تستصحب صعوبات منهجية وعلمية أهمها قلة الدراسات الفاحصة للمرحلة، وشح المصادر المؤرخة لتلك الفترة، ولكنها ستستعيض عن ذلك باستثمار المصادر الطبقاتية والتراجم المتوفرة لعلماء الوقت من المالكية وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: أبو ذر الهروي؛ الحجاز؛ المذهب المالكي؛ المذهب الأشعري؛ البخاري.

Abstract:

At a time when the Maliki creed has expired from the Hijaz and its first incubator, Medina in the fourth and fifth centuries, for various reasons, the most important of which was the rise of the Ismaili Shiite century in the western part of the Islamic world and the establishment of the Fatimid state, which enlisted all its power to spread it, on the one hand, On the other hand, the reduction of the sunnah, as well as the deterioration of the political situation in the Hijaz due to the instability of the rule in Mecca, which is under the influence of the nobles, Few prominent figures emerged near the Great Mosque of Mecca, and they had a great credit for reviving the Maliki scientific lesson, and the most important of them was Abu Dhar Al-Harawi, who was the great bridge for the passage of Sahih Al-Bukhari to the Islamic West, as well as the Ash`ari school of thought by the Malikis and applied to it after the fifth century AH .

The paper discusses problems related to the causes of the decline of the Maliki school of thought in the Hijaz and the Islamic Orient in the days of the decline of the Iraqi school and the extinction of the Madinah school, and it searches for the central role of Abu Dhar Al-Harawi in this, the reasons for his proximity to Al-Haram, and its relationship to the ordeals that befallen the Sunnis in the Buwaihi era. It aims to clarify the scientific and educational situation, and draw a

doctrinal map of the Hijaz during the Fatimids and their Qarmatian allies over the Arabian Peninsula, and reveal the scientific roles of the Malikis by investing the class sources and translations available to the Maliki scholars and others.

Keywords: Abu Dhar Al-Harawi; the Hejaz; the Maliki school of thought; the Ash'ari school of thought; Al-Bukhari.

مقدمة:

تعتبر الدراسات المذهبية والفرقية وتاريخ الأفكار من الدراسات الجديرة بالنظر والتذاكر لمعرفة التطور الحضاري للأمم، وبما أن الفقه الإسلامي هو الركيزة الأساسية للمكتبة الإسلامية، إذ هو مدار تدبير المجتمعات، كان من المحتم الاهتمام بالتأريخ العلمي لمختلف المذاهب المتبوعة، ومنها المذهب المالكي، والذي نشأ وترعرع وانطلق من الحجاز، لتتشكل مدارسه المختلفة الحجازية والعراقية والمصرية والقيروانية، ولكن المدرسة الأم في المدينة المنورة تعرضت لانكسار وحصار وغياب وانقطاع دام ثلاثة قرون لأسباب متعددة، وكان للرحلات الحجية دور في وصل المدارس المتبقية، كما كان لبعض العلماء ومنهم أبو ذر الهروي أثر بالغ في إعطاء المذهب المالكي نَفَسا جديدا بالسند الحديثي العالي، وسلاحا جديدا لمقاومة الفرق الأخرى، وهو سلاح الكلام الأشعري.

أ–الإشكالية: تتركز إشكالية البحث حول سؤالين مركزيين، أولهما وضع المذهب المالكي والحجاز أيام أبي ذر الهروي، والأسباب التي أدت إلى انحساره، وثانيهما الكشف عن حياة أبي ذر العلمية، وأثره في المذهبين المالكي والأشعري، وخاصة في نقل البخاري، وتغير اهتمامات الدرس العلمي في الغرب الإسلامي.

ب–الأهداف: يهدف البحث بالأصالة إلى اكتشاف شخصية أبي ذر العلمية عن طريق تتبع مساره التكويني والتعليمي، ومعرفة آثاره العلمية والمعنوية في تلامذته المغاربة بالأساس، كما يتغيا البحث وضع خارطة مذهبية أيام أبي ذر الهروي أي في القرنين الرابع والخامس، وخاصة في الحجاز حيث جاور الرجل ثلاثين سنة كاملة.

ج– المنهج: يعتمد البحث بالأساس المنهجين الوصفي التاريخي في بناء خلفية تاريخية لأبي ذر الهروي ووضع المذهب المالكي، وكذا المنهج التحليلي في قراءة مسار الأحداث، معتمدين بالأساس كتب الطبقات والفهارس والتاريخ، والدارسات الرديفة الحديثة.

د–الدراسات السابقة: وهي قليلة جدا، فعلى الرغم من شهرة أبي ذر فإنه لم يحض بالعناية اللازمة، اللهم إلا بعض المقالات المنزورة، وقد وجدت دراستين مهمتين إحداهما للدكتور محمد البركة، بعنوان" أبو ذر الهروي وعلماء الغرب الإسلامي" بجامعة محمد الخامس بالمغرب، ولم نطلع عليها لغيابها على الشبكة، والثانية بحث لعبد الله بن طاهر بعنوان "أبو ذر الهروي المالكي الحافظ المحدث المالكي"، وهو بحث ركز على الشخصية العلمية، دون التعرض للبيئة الحاضنة ووضع المذهب وتراجعه أيام الفاطميين.

1. أبو ذر الهروي، تكوين الشخصية العلمية.

1.1–ميلاده: ولد أبو ذر الهروي بمدينة هراة بخرسان (أفغانستان الحالية) سنة (355هـ)[1].

2.1–نسبه: هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عفير بن عرك، النجاري الأنصاري. ويقال له ابن السماك في بلده الأصلي هراة[2].

3.1–موطنه الأول: هي مدينة هراة المشتهرة بكونها صقعا علميا في خرسان، وقد وهم المقري بنسبة هراة إلى الحجاز:" واعلم أن هراة المنسوب إليها الحافظ أبو ذر ليست بهراة التي وراء النهر نظيرة بلخ، وإنّما هي هراة بني شيمانة بالحجاز، وبها كان سكنى أبي ذر، والله أعلم."[3].

تعتبر مدينة هراة من مدن خرسان الرئيسة، وكانت عامرة بالمدارس والأسواق، ووصفها ياقوت :" مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة (607) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء، ومملوة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحدثان وجاءها الكفّار من التتر فخربوها حتى أدخلوها في خبر كان، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وذلك في سنة (618)[4].

وانفرد رضا كحالة بالقول بأنه هاجر من الأندلس[5]، ولا ندري مصدر قوله، وهو خلاف كل من ترجم له بكونه خرسانيا، وقد استغرب الباجي وجود مالكي من خرسان فسأل شيخه أبا ذر عن سبب انتمائه للمالكية وميله للباقلاني: لقد أخبرني الشيخ أبو ذر وكان يميل إلى مذهبه، فسألته: من أين لك هذا؟، قال: إني كنت ماشيا ببغداد مع الحافظ الدارقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الشيخ أبو الحسن، وقبل وجهه وعينيه، فلما فارقناه، قلت له: من هذا الذي صنعت به ما لم أعتقد أنك تصنعه وأنت إمام وقتك؟، فقال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين، هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب. قال أبو ذر: فمن ذلك الوقت تكررت إليه مع أبي، كل بلد دخلته من بلاد خراسان وغيرها لا يشار فيها إلى أحد من أهل السنة إلا من كان على مذهبه وطريقه[6]. وهو ما يدل على الانتشار المبكر للأشعرية في بلاد إيران في القرن الرابع الهجري.

والظاهر أن الألق العلمي للباقلاني وقوته الحجاجية في الرد على الفرق المناوئة لأهل السنة، وطول باعه في الأصلين جعلا أبا ذر ينتقل من مذهب أهله الأصلي- ولعله الحنفي أو الشافعي- للمذهب المالكي، مما شكّل إحدى غرائب التحول المذهبي في تلك الأعصر.

4.1-مسار رحلته العلمية: بتتبع كتب الرجال والطبقات، فإنه يمكن إجمال رحلته العلمية الطويلة في الآتي:

أ-هراة: أبو الفضل بن خميرويه (ت 372هـ) (وهو أول من سمع منه)، وبشر بن محمد المزني.

ب-سرخس: أبا محمد بن حموية (381هـ)، وزاهر بن أحمد.

ج-بلخ: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المستملي (376هـ).

د-نيسابور: أبو عبد الله الحاكم (404هـ).

هـ-كشميهن: أبو الهيثم محمد بن مكي (389هـ).

و-البصرة: أبو بكر هلال بن محمد (379هـ)، وابن المنتعل (388)، وعبد الله بن محمد بن بكر بن داسة، أبو محمد البصري التمار، وشيبان بن محمد الضبعي[7].

ز-بغداد: الدارقطني (385هـ)، أبو الفضل الزاهري (381هـ)، أبو عمر بن حيوية (382)، وأبو بكر محمد بن شاذان الجوهري (386هـ)، وأبو الحسن علي الحربي السكري (386)، وأبو حفص بن شاهين (385هـ).

ح-دمشق: عبد الوهاب الكلابي (396هـ)، وأبو بكر بن أبي الحديد (405هـ) وأبو مسعود إبراهيم بن محمد الدمشقي (401هـ)[8].

ط-مصر: أبو مسلم الكاتب المقرىء (399هـ) وطبقته بمصر[9].

ك-مكة: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدينوري (حي 372هـ) وأبو الحسن أحمد بن فراس (404هـ)[10].

5.1- أهم شيوخ أبي ذر المبرزين في حقول الحديث والفقه والكلام:

أ –الفقه: تلقى أبو ذر الهروي العلم عن أجلاء العصر، بدء من موطنه الأول، مرورا بمدن إيران، ثم العراق، فالشام ومصر، إلى أن ألقى عصا التسيار شيخا إماما ببلاد الحجاز، وأهم شيوخه في الفقه هم:

- أبو سعيد الأبهري عبد الرحمن بن أحمد بن يزيد بن عبد السلام. قال أبو ذر فيه: الفقيه المالكي، سمعت منه بأبهر وكان شيخاً صالحاً، لا بأس به [11].

- القاضي أبو الحسن القصار(398هـ)، الأصولي الفقيه النظار، تلميذ الأبهري. وصاحب الكتاب في الخلاف العالي المعروف بعيون الأدلة، قال فيه أبو ذر: هو أفقه من رأيت من المالكيين[12].

– أبو علي اسماعيل بن الحسن بن علي بن عتاس: قال: لقيته ببغداد وقرأت عليه، وكان لا بأس به[13].

–أبو إسحاق بن ابراهيم بن محمد الدينوري: نزل مكة، وحدث عنه أبو ذر ومحرز، وأبو عبد الله بن الحداد، وعبدوس بن محمد، وأبو بكر الصقلي، ومحرز العابد، وأبو بكر الخولاني، وغيرهم. قال أبو عبد الله بن الحداد لقيته بمكة، سنة (372هـ)، وتركته حياً قد نيف على الثمانين سنة[14].

ب– الحديث: اهتم أبو ذر اهتماما منقطعا بالسماع والتلقي، ورحل في طلب الحديث إلى العراق، ثم مصر، فالحجاز، ووصف بكونه: "اشتغل في الحديث فتقدم في إمامته، وغلب عليه حال في بلاد خراسان والجبل، وبلاد العراق، ورحل إلى الحجاز ومصر"[15]، ومن أهم شيوخه في الحديث:

–أبو الحسن الدارقطني (385هـ)، وأحمد بن عبد الله الشيرازي، وأبي بكر بن شاذان، وأبي الحسن بن فراس.

–رواة البخاري الثلاثة: أبو إسحاق المستملي، وأبي محمد الحمويي، وأبي الهيثم الكشميهني[16].

إضافة إلى علماء أفذاذ حفاظ أمثال الخليل بن أحمد القاضي، وأبي المنتعل، وأبي عبد الله الحاكم، وغيرهم، وقد ألّف فيهم كتابين، أحدهما فيمن روى عنه الحديث، اشتمل على نحو ثلاثمائة اسم، والآخر فيمن لقيه ولم يروِ عنه حديثاً، وهو ما يدل على حاسة نقدية لديه مذكّرة بما قاله الإمام مالك في تحمل الحديث:" لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل، إذا كان لا يحفظ ما يحدث به"[17].

ج–علم الكلام: أخذ أبو ذر الهروي علم الكلام عن أئمة الأشاعرة الكبار في زمنه، ومن أهمهم وأشهرهم:

– الإمام الباقلاني وحلقته العلمية: وقد سبق ذكر سبب انتقاله للمالكية بتأثير صورة ومكانة الباقلاني في هذا المتعلم اللقن الفطن الشاب القادم من أقاصي خرسان للعراق، فكان تعظيم الدارقطني للباقلاني سببا لتحوله للمالكية وعكوفه على تعلم أفانين الكلام، وصيرورته قنطرة لعبوره إلى مالكية الغرب الإسلامي.

–أبو بكر بن فورك الأصبهاني(406هـ): الأصولي المفسر المتكلم الأشعري الشافعي، أستاذ البيهقي والحاكم النيسابوري، وكان قد سكن الحرم المكي مدة، فأخذ عنه أبو ذر فن الكلام وأصول الاعتقاد الأشعري[18].

د– اللغة والأدب: أخذهما عن علماء كثر إلا أن أهمهم هو أبو الحسين بن فارس بن زكريا اللغوي الرازي(ت 395هـ)، وقال أبو ذر بأنه كان مالكيا، وسبب ذلك أنه دخل الري ولم يجد بها من ينتحل المالكية فتحول إلي المذهب المالكي، وأما الباجي فنقل كونه مالكيا، إلا أنه استدرك بأن بعض مشيخته قالوا بأنه شافعي بدليل شرحه لكتاب المزني:" واحتج بشرحه لألفاظ مختصر المزني الذي سماه حلية الفقهاء[19]. ولا يبعد أن يكون حاملا للمذهبين وهي ظاهرة جديرة بالدراسة في التحولات المذهبية.

6.1– المجاورة والوفاة: بعد الرحلة العلمية المترامية الأطراف من خرسان حتى مصر استقر أبو ذر الهروي بالحجاز، وجاور قرب الحرم ثلاثين سنة، والظاهر أنها مجاورة متقطعة حسب الخطيب:" قدم أبو ذر بغداد، وحدث بها وأنا غائب، وخرج إلى مكة، وجاور، ثم تزوج في العرب، وأقام بالسروات، فكان يحج كل عام، ويحدث ثم يرجع إلى أهله، وكان ثقة ضابطا دينا، مات بمكة في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وأربع مائة"[20]،.

وبعد عطاء حافل بالتحديث والتدريس في الحرم المكي أيام الحج والمواسم للقاصدين من الحجاج المغاربة والأندلسيين الذين أخذوا عنه البخاري وغيره، وأخذوا منه علم الكلام حسبما هو منثور في كتب الطبقات والفهارس والأثبات توفي أبو ذر الهروي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (435هـ)[21]. وترك من أولاده العلماء أبو مكتوم عيسى الذي ظل على هدي أبيه في رواية الحديث للقاصدين والعاكفين في الحرم الشريف[22].

2. الآثار العلمية لأبي ذر الهروي.

ويمكن تقسيمها إلى آثاره العلمية المكتوبة، وآثاره المعنوية ممثلة في تلاميذه ومستجيزيه، وما قيل فيه من شهادات ومناقب وآثار مخلدة لذكراه.

1.2: مؤلفاته العلمية.

خلّف أبو ذر الهروي مؤلفات كثيرة في حقول مختلفة أهمها الحديث والأجزاء الحديثة، وأورد القاضي عياض عددا منها[23]، وقسمناها حسب ما لاح لنا من العناوين إلى الآتي:

أ–في الحديث: الكتاب الكبير في المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم، كتاب مسانيد الموطآت[24]، مستدرك على الصحيحين، قال الذهبي: "علقت منه"[25]، تخريج الإلزامات[26]، وسماه تلميذه الباجي كتاب الإلزامات، وهو عمل تخريجي لكتاب الإلزامات والتتبع للدراقطني.

ب– الأجزاء الحديثية: الرباء واليمين الفاجرة [27]،شهادة الزور، فضائل يوم عاشوراء[28]، الدواة، كتاب ما روي في بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب الدعوات، فضائل القرآن[29]، فضائل العيدين[30]، الرؤيا، وكتاب المنامات[31].

ج– في الرجال: كتاب في شيوخه[32]، وكتاب الرجال[33].

د–العقيدة: كتاب السنّة [34]، كتاب الصفات، وهو على طريقة محدثي الأشاعرة كالبيهقي في كتابه الأسماء والصفات[35]، كتاب كرامات الأولياء، الدعاء، دلائل النبوءة[36].

هـ– الفقه والأحكام: كتاب الجامع، كتاب المناسك[37].

و– التاريخ والمناقب: كتاب معيشة النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه وتخلّيهم من الدّنيا[38]، كتاب فضائل مالك بن أنس، كتاب بيعة العقبة[39]، وحديث الجعرانة وحنين[40].

2.2: تلاميذه ومستجيزوه.

ترك أبو ذر الهروي آثاره البينة في عديد من التلاميذ النبغاء والمحدثين والمستجيزين، وأكثر من خلّد اسمه منهم المغاربة، ويتبين ذلك من القائمة التي ساقها الذهبي فقال: حدّث ابنه أبو مكتوم عيسى، وموسى بن علي الصقلي، وعلي بن محمد بن أبي الهول، والقاضي أبو الوليد الباجي، وأبو عمران موسى بن أبي حاج الفاسي، وأبو العباس بن دلهاث، ومحمد بن شريح، وأبو عبد الله بن منظور، وعبد الله بن الحسن التنيسي، وأبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن، وممن رووا عنه: بالإجازة أبو عمر بن عبد البر(463هـ)، وأبو بكر الخطيب البغدادي(463هـ)، وأحمد بن عبد القادر اليوسفي، وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني (ت 508هـ)" [41]. ومن النوادر أن بعض الأندلسيات روين عنه، ومنهن خديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجيالي، التي حجت مع أبيها وسمعت من أبي ذر الهروي صحيح البخاري"[42].

وأحصى أحدهم أزيد من مائة تلميذ كلهم أندلسيون، فقهاء مبرزون، أغلبهم قضاة مشهود لهم بالعدل والانصاف"[43]، وربما كان مرجع كثرتهم إلى مجاورته الطويلة بالحرم والتي نيفت على ثلاثين سنة.

أما أهم الرجال المغاربة الذين نهلوا من علمه وحديثه من فقهاء المالكية القيروانيين والأندلسيين فهم:

أ-أبو الوليد الباجي: حدث عنه كما روى ابن خير في الفهرست في شروط الإجازة في مقدمته[44]، وتعتبر رواية الباجي للبخاري عنه من أهم الأسانيد المتداولة في الأندلس.

ب- أبو عمران الفاسي: ذكره عديد ممن ترجم له وللهروي، إلا أن الذهبي انفرد بكونه لم يسمع منه كل كتبه، وإنما بعضها، ثم أخذ البقية وجادة [45]. وهي الأمانة العلمية التي اشتهر بها هؤلاء الأثبات الجهابذة في عدم نسبة ما لم يسمعوه مباشرة من المحدث.

ج- أبو عمرو السفاقسي: روى عنه كتاب اختيار فصيح الكلام؛ لأبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب[46].

د-أبو سعيد الوراق: روى عنه كتب أبي عبيدة ككتاب الخيل ومقاتل الفرسان، والأصمعيات[47]، وكتاب الأمثال للمفضل الضبي[48] وهو ما يدل على كون أبي ذر مرجعا أيضا للغة والأدب .

3.2 بعض الشهادات في أبي ذر الهروي.

إن المتتبع لكتب الطبقات والتراجم يقف على كم نوعي من الشهادات التي توشح حياة أبي ذر العلمية الحافلة، ومنها ما قاله تلميذه أبو محمد الشتنجالي الأندلسي: من رأى أبا ذر، رآه على هدى السلف الصالح من الصحابة، والتابعين. وقال حاتم بن محمد: كان أبو ذر مالكياً خيراً، فاضلاً متقللاً من الدنيا، بصيراً بالحديث وعلله، ويميز الرجال[49]، ونقل الذهبي عن عبد الغافر بن إسماعيل في تاريخ نيسابور" قوله: "كان أبو ذر زاهدا ورعا عالما، سخيا لا يدخر شيئا، وصار من كبار مشيخة الحرم، مشارا إليه في التصوف، خرج على الصحيحين تخريجا حسنا، وكان حافظا كثير الشيوخ"[50].

إضافة إلى التحليات الأخرى التي حلاّه بها المالكية وغير المالكية اعترافا بفضله في الحديث والسنة، وصبره ومصابرته في تلك الأزمان العصية والمليئة بالفتن أيام العبيديين كما سيأتي بيانه.

3. المذهب المالكي في المشرق أيام أبي ذر الهروي.

دخل المذهب المالكي المشرق الإسلامي مبكرا في حياة الإمام مالك، ثم تنامى أمره وقوي بتأسيس المدرسة العراقية التي برز فيها أئمة كبار أمثال القاضيين عبد الوهاب وإسماعيل، وفقهاء أفذاذ أمثال الأبهري وابن القصار وابن خويز منداد، وكانت البصرة مكزا مهما للمذهب في تلك الفترة.

كما تجاوز بغداد إلى بلاد إيران وخرسان بصورة محدودة، فقد ذكروا بأنه دخل هذه الأخيرة مبكرا على أيدي تلامذة مالك ومنهم: ابن يحي التميمي، قتيبة بن سعيد، وعبد الله بن المبارك[51].

وكان له وجود محدود بمدن أبهر وقزوين بفضل قضاة أئمة كما ذكر ياقوت عنها :"أبهر، وينسب إليها كثير من العلماء والفقهاء المالكية وكانوا على رأي مالك بن أنس[52]، وكذا بالأهواز جنوب إيران على يد القاضي أبي عبد الله البرنكاني[53].

كما يذكر المؤرخون أن اللغوي أحمد بن فارس أدخله للري، والذي كان شافعيا فتحول للمالكية معللا ذلك بقوله:" دخلتني الحمية لهذا البلد، كيف لا يكون رجل على مذهب الرجل المقبول على جميع الألسنة"[54].

ولكن هذا الوجود انمحى تقريبا في القرن الخامس في إيران وخرسان بمزاحمة وسيطرة مذهبي الأحناف والشافعية، في حين كانت بلاد ما وراء النهر تدين غالبا بمذهب أبي حنيفة حسبما هو مستقرأ من كتب الطبقات والفهارس وتاريخ المدن.

وفي تسجيل عن خارطة وجود المذهب بالمشرق يقول عياض في ترتيب المدارك:" وسرت جميع هذه المذاهب في الآفاق فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد أفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان إلى وقتنا هذا، وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً وضعف بها بعد أربعمائة سنة، وضعف بالبصرة بعد خمسمائة سنة، وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأبهر، وظهر بنيسابور، وكان بها وبغيرها أئمة ومدرسون..، وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام"[55].

تدهور الوجود المالكي في تلك الأصقاع بسبب صعود البويهيين، وهم أنصار المذهبين الزيدي والشيعي، كما أنهم معتزلة في العقيدة، وقد وجدنا بعض الشافعية والأحناف معتزلة أيضا أمثال قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني(414هـ)، في حين لم يكن للمالكية ولوع بالاعتزال، فيندر أن يوجد مالكي على هذا الرأي، ومداخلة الأحناف والشافعية للمعتزلة مكنتهم من الانتشار بسبب اعتلائهم للخطط الدينية والقضائية، وهو ما سجله عياض في أسباب تراجع المذهب من انكفاف أئمته عن القضاء:" وبعد موت الأبهري، وكبار أصحابه لتلاحقهم، وخروج القضاء عنهم إلى غيرهم من مذهب الشافعي، وأبي حنيفة ضعف مذهب مالك بالعراق. وقل طلبه لاتباع الناس أهل الرئاسة، والظهور"[56].

4. أسباب انحسار المذهب المالكي أيام أبي ذر الهروي.

إن المتتبع لطبقات المالكية يلحظ بجلاء ذلك الاختفاء البين للمذهب المالكي بالحجاز على الرغم من كونه موطنه ومأرزه الأول، وانتقال ريادته العلمية إلى العراق والقيروان والأندلس، وليس ذلك الغياب لصيقا بالمذهب المالكي وحده، فكل المذاهب المتبوعة لم تجد لها موطن قدم راسخ في الحرمين الشريفين في تلك الفترة المضطربة من تاريخ الحجاز، حيث تغيب الأسماء المرجعية للمذاهب في الانتصاب للتدريس، أو تكوين مدرسة يشار إليها بالبنان كحال الأمصار الأخرى، وجل ما في الأمر مجاورة مؤقتة أو حجة مفروضة يتداول فيها العلماء الحديث والأسماع والإجازات وغيرها، وربما شكل أبو ذر الهروي نشازا في كل هذا بإقامته الطويلة في الحجاز، والتي راهقت ثلاثين سنة، وعلى الرغم من ذلك فإن المجاورة لم تكن داخل الحرم، وإنما بجبال السروات في الحجاز حيث كان ينزل مرات في المواسم لأداء فروضه، والتحديث بسماعه لمن يفد من العلماء والمحدثين من باقي الأصقاع.

وتأكيدا لما سبق، فإنه وبتتبع طبقات ابن فرحون في ديباجه ومخلوف في شجرته نلحظ الآتي:

أ-وجود فرع للحجاز بعد التأسيس للمذهب (من الطبقة الرابعة حتى السادسة) أي من الإمام مالك (179هـ)، حتى أبي الحسن بن المديني المتوفى (234هـ).

ب- انقطاع في فرع الحجاز من الطبقة السابعة حتى الخامسة عشر، والتي كان فيها الأخوان أبو الحسن بن فرحون اليعمري التونسي المدني (746هـ)، وأخوه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم المدني (769هـ)[57]

ج-عودة الفرع الحجازي من الطبقة الخامسة عشر حتى العشرين، وينتهي بالشيخ أبي زكريا يحيى بن محمد بن محمد الحطاب المكي_ المتوفى بعد سنة (993 هـ-1585 م)، وهو خاتمة علماء الحجاز المالكية [58].

د- انقطاع الفرع الحجازي من الطبقة الواحدة والعشرين إلى حد الساعة، وأسباب ذلك كثيرة من مزاحمة المذهب الزيدي أيام حكم بعض الأشراف، ثم الشافعي أيام الأيوبيين والمماليك، ثم الحنفي أيام العثمانيين، وأخيرا الحنبلي مع الدولة السعودية الثالثة.

ويمكن إجمال الأسباب التي أدت إلى تراجع وضمور بل واختفاء الفرع الحجازي في القرنين الرابع والخامس الهجري إلى الآتي:

1.4: الهجمة الفاطمية على المشرق الإسلامي: منذ دخول الفاطميين إلى مصر سنة (358هـ)، ومدّ نفودهم للشام والحجاز وفرضهم المذهب الإسماعيلي بالقوة والإكراه والعسف، بدأ التراجع يزحف على كل المذاهب الفقهية السنية، وهو ما أثّر على الحياة العلمية في أصقاع مصر والشام والحجاز، حيث انثالت قطاعات شعبية للدخول في الدعوة الفاطمية، وخاصة في الشام التي انقلبت فيها الخارطة المذهبية لصالحهم، وجرى تغيير الشعائر من إبطال التراويح، وزيادة "حي على خير العمل"، حتى أن المؤرخين وصفوا هذا القرن بالقرن الشيعي.

وهو ما سجله ابن كثير في غلبة الرفض على المشرق، وأن ذلك الانقلاب الفكري مس ببغداد عاصمة الخلافة العباسية السنية ذاتها، فقد ذكر شئيا من نشاط دعاة الإسماعيليين في حوادث (331هـ) قال: "وفيها كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحدا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة"[59].

وقد اتسع الخرق المذهبي، ولم يمكن رتقه إلا بعد مدة من سيطرة السلاجقة السنيين، حتى أنه خطب في تلك الأيام للخليفة الفاطمي المستنصر بالله على منابر بغداد سنة كاملة أيام سيطرة البساسيري (450هـ)، والذي شكّل تحالفا شيعيا في العراق، وتمكن من الحجر على الخليفة القائم بأمر الله وقتل وزيره ابن المسلمة[60]، ولولا الهبة الثانية من السلاجقة بقيادة زعيمهم طغرل بك بن سلجوق الذي دخل بغداد، وأعاد الاعتبار للمذهب السني في العراق وما والاها من بلاد فارس، وهكذا انقسم العالم الإسلامي إلى عالم شرقي يهيمن عليه السنة، وآخر غربي يهيمن عليه الشيعة، وكان نصيب الحجاز الخضوع للمد الشيعي محاصرا بالقرامطة من شرق الجزيرة، والزيدية من جنوبها، والإسماعيليين من شمالها.

وقد أدرك أبو ذر تلك المحن التي أحاطت بأهل السنّة في بدايات الوجود الفاطمي، وروى كيف قتل الفاطميون ابن النابلسي محمد بن أحمد بن سهل بن نصر أبا بكر الرملي سنة (363هـ)، قائلا: سجنه بنو عبيد وصلبوه على السنّة، وسمعت الدارقطني يذكره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يسلخ: كان ذلك في الكتاب مسطوراً"[61].

وفي شهادة فارقة على انقلاب الأوضاع الثقافية لصالح التشيع ضد المذاهب السنية في عواصمها العتيقة كدمشق وحلب والقدس والقاهرة، يقول ابن كثير في تفسيره لأسباب هزائم المسلمين أمام الصليبين والروم:" وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشوا البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام" [62].

2.4: الخطر القرمطي في الجزيرة العربية: تمكن القرامطة من إنشاء إمارة لهم بالأحساء شرق الجزيرة العربية، ومدوا نفوذهم خارجها إلى الشام والعراق، وعلا أمرهم حتى صاروا قوة ضاربة، وعلى الرغم من كونهم الساعد القوي للفاطميين لإقلاق العباسيين، إلا أنهم جازوا الحدود والأعراف، فقاموا بأفعال شنيعة عند غزوهم للحرم المكي سنة (317هـ) فقتلوا ثلاثين ألفا من الحجاج يوم التروية ، ومنهم علماء أجلاء أمثال الإمام أحمد بن الحسين المعتزلي شيخ الحنفية ببغداد، والحافظ محمد بن أبي الحسين الهروي الذي قتل بباب الكعبة [63].

ومن شنائعهم المتواترة سرقة الحجر الأسود ونقله إلى عاصمتهم هجر بالإحساء، فقد ظل عندهم عشرين سنة (319-339هـ)، حتى افتداه العباسيون منهم بأموال طائلة [64]. وبعد الخلاف بينهم وبين الفاطميين، تمكن هؤلاء من صدّ خطرهم على الحرمين، مما أكسب الفاطميين سمعة حسنة في الأقطار[65].

بل إن تلك الفتن والاستهتار بالمشاعر ظل يطلع قرنها بين الفينة والأخرى من أنصار الإسماعيليين الذين يرون الرسوم الشعائرية ظاهرة رموزا مستعارة فقط، والعلم عندهم هو التعليمي الذي يفيض من الإمام المعصوم، ومن ذلك ما حكاه ابن الأثير في حوادث (414هـ) من قيام أحد الباطنيين من ضرب الحجر الأسود[66].

وينضاف إلى ما سبق من قلاقل الحجاز صعود قوة الأخضيرين، –وهم أشراف حسينيون زيدية– أسس دولتهم إسماعيل السفاك بن يوسف الأخيضر في نجد، وهاجم مكة، وعاث فيها فسادا خمسين يوما، ثم قصد المدينة وحاصرها كما قال ابن خلدون: " ثم سار إلى المدينة فتوارى عاملها وحاصرها حتى مات أهلها جوعا، ولم يصل أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم" مما اضطر الخليفة المعتز لإرسال جيشه لتأديب الخارجين فوقعت معركة بيوم عرفة مات فيها خلق في موسم حج (251هـ)، ثم أرسلت الخلافة جيشا آخر للحجاز بقيادة أبي السياج الأشروشيني، فانسحب الأخضيريون من تهامة إلى نجد، وظلت دولتهم قائمة إلى منتصف القرن الخامس، بعدما دخلت في صرعات مع القرامطة الذين حجموها منذ سنة (317هـ)[67].

ولكن حركات وغزوات الفريقين من القرامطة والأخيضريين وحلفائهم من أعراب الجزيرة ظلت ترهق الحجاز حتى أقفرت معالمه من الدرس العلمي بسبب خوف علماء المذاهب الأربعة من الوقوع تحت السيف المصلت من العبيديين وأنصارهم السابقين من القرامطة[68] والأخيضريين بنجد، والصلحيين باليمن، وبهذا يتبين الجهد الخارق من أبي ذر في نشر ونقل الحديث ومذهب الأشعري في مواسم الحج للحجاج المغاربة كما سيأتي.

3.4: صعود المذهب الزيدي: وجد المذهب الزيدي مكانة لدى محتضنيه البويهيين وهم – زيدية معتزلة– مكنوا للمذهب بطرق مختلفة في بلاد الديلم وبعض العراق والحجاز واليمن، وفرضوا رسوم الشيعة علنا في بغداد السنية، ومن ذلك مرسوم عز الدولة سنة (352) الذي :" ألزم الناس بغلق الأسواق ومنع الهراسين والطباخين من الطبيخ، ونصبوا القباب في الأسواق وعلّقوا عليها المسوح، وأخرجوا نساء منشرات الشعور مصخمات يلطمن في الشوارع ويقمن المأتم على الحسين عليه السلام، وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد[69]، ومن ذلك تضييقهم على باقي المذاهب، كمرسوم عضد الدولة البويهي(ت 372هـ) الذي أرجع التراجع السكاني بعاصمة الخلافة لتلك الفتن المتكررة بين السنة والشيعة في عاشوراء من جهة، وبين الحنابلة والأشاعرة، فأصدر مرسوما بتعطيل حلق الدرس والعلم :"قيل لعضد الدولة إن أهل بغداد قد قلوا كثيرا بسبب الطاعون وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة وأصابهم حريق وغرق، فقال: إنما يهيج الشر بين الناس

هؤلاء القصاص والوعاظ، ثم رسم أن أحدا لا يقص ولا يعظ في سائر بغداد ، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة، وإنما يقرأ القرآن فمن أعطاه أخذ منه"[70].

وقد انهارت الجبهة المعنوية للمسلمين بسبب تلك الحوادث في تراجع منسوب التعبئة الجهادية ضد غزوات الروم على الثغور الشمالية، وكذلك ما حصل من فتن عظيمة ببغداد بين السنة والشيعة سنة (443هـ)"[71].

ومما يسجل أيضا ذلك السعار المذهبي ضد السنة، وشيوع منكرات سب الصحابة والانتقاص من قدرهم أيام البويهين، وهو ما رصده آدم ميتز: "وكان أشد ما يؤلم نفوس أهل السنة، ما أولع به الشيعة من سبِ بعض الصحابة"[72].

وعلى الرغم من كل الخطط لتشييع العراق وتحويله إلى الزيدية، إلا أن أساطين المذاهب الشافعية والمالكية والحنابلة حافظوا على التعبئة الشعبية معهم في المقام على السنّة، وهم يستصحبون في هذا الموقف الفذ للإمام أحمد ابن حنبل في محنة خلق القرآن.

4.4: الفتن العلمية المحيقة بالمنتسبين لأهل السنّة الأشاعرة.

والتي ابتدأت منذ سيطرة البويهيين على مقاليد الخلافة العباسية، حيث كانت لهم اليد الطولى على مدن فارس مركز الثقل لأهل السنة آنذاك، حيث ظل الاعتزال قويا في دواليب الإدارة، ومن المتواطئ عليه قرب الزيدية من الاعتزال في جل مباحث الكلام، وشاهد ذلك تقلد القاضي عبد الجبار الهمداني لمنصب قاضي القضاة، ولم ينج من ذلك التضييق إلا العراق بحكم الحضور القوي للحنابلة والأشاعرة والتلاحم الحاصل بينهما في فترات معدودة ضد المد الشيعي، واستمر التضييق على أهل السنّة الأشاعرة إلى نهايات القرن الخامس، ومن ذلك محنة القشيري في أول دولة السلاجقة عشر سنوات (440-455هـ)[73]، حتى اضطر إلى الرحيل إلى بغداد بعدما طرد من نيسابور وسجن بقلعة "القهندر"، وهي محنة شديدة تألب المعتزلة وبعض الحنابلة ضد الأشاعرة، وألف القشيري فيها كتابه "شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة"[74].

كان أوائل السلاجقة ممن لا عهد لهم بالحراك العلمي بحكم نشأتهم العسكرية قد أصدروا قرارات لمسح الأثر البويهي بلعن فرق الرافضة والأشاعرة والمتكلمين من قبل وزيرهم الأول عميد الملك الكندري، وكان حنفيا معتزليا متعصبا ضد الشافعية (ت456هـ)[75] مما أدى إلى خروج القشيري والجويني الذي جاور بالحرمين أربع سنوات[76]، ولذلك سمي بإمام الحرمين، ولم تنصلح الأمور إلا باستوزار نظام الملك الذي أعاد الأمور إلى نصابها، فبنى الجامعات والمدارس النظامية، وقرر فيها تدريس الفقه الشافعي والعقيدة الأشعرية لمواجهة الخطر الإسماعيلي الذي كاد أن يبتلع العالم الإسلامي في ذلك القرن، ولأجل ذلك لم يغفر له الفاطميون تلك الخطة الثقافية فدبروا اغتياله على يد فرقهم الفدائية المعروفة بالحشاشين بزعامة الحسن الصباح سنة (485هـ).

5. وضع الحجاز في حياة أبي ذر الهروي.

عاش الحجاز في القرنين الرابع والخامس وضعا غير مستقر في السياسية والاقتصاد بسبب عدم وجود سلطة مركزية ضابطة للأمن، حيث كان الحكم فيه متقلبا بين الأشراف الحسنيين حكام مكة بين عائلتي السليمانيين والهواشم[77]، والأشراف الحسينيين حكام المدينة من أسرة بني مهنا[78]، ومنذ دخول الفاطميين له سنة (358هـ) على يد جعفر بن الحسين بدأت الدعوة على المنابر للخليفة الفاطمي، وهو ما لم يرق لبني العباسي الذي دخلوا في صراع وإملاءات لبعض الأشراف والقبائل البدوية الموالية مما أدى إلى تضعضع الأمن واختلال الحج وكثرة أمرائه وقادة ركبه، ولكن النفوذ كان في الأغلب للموالين للفاطميين، وخاصة مع أبي الفتوح الحسن بن جعفر الذي خطب للخلفاء الحاكم والظاهر والمستنصر العبيديين حتى سنة (453هـ)، وكان قد ادعى الخلافة لنفسه مدة، ثم تراجع بضغط منهم، واستمر الفاطميون في إحكام سيطرتهم بمهاجمة تابعهم علي بن محمد الصليحي لمكة سنة (455هـ) حيث رجح الكفة لصالح الهواشم[79]. وظل حال الأشراف متقلب الولاء بين الدولتين إلى عهود متأخرة، وهو مأ أثر على الحركة العلمية التي تراجعت بشكل ظاهر، مما يجعل أبا ذر الهروي نشازا علميا في كل ما سبق ذكره.

وتبعا لذلك فقد تضعضع الأمن، حتى أن الأعراب أشهروا السلاح بمكة سنة (430) وانقطعت قوافل الحجيج من مصر والمغرب سنوات (423-428هـ) بسبب الغلاء والخوف

والضرائب، حتى ذكروا بأن أبا الفتوح الهاشمي أخذ هدايا الكعبة وسكها دنانير[80]، وكان الوضع أشبه بالفوضى الدورية لغياب السلطة الضابطة، وربما كانت المجاورة المتقطعة لأبي ذر بسبب ما أسلفنا من فتن متوالية وقطع للطريق بين الحرمين الشريفين.

ولم يكن الاقتصاد بأحسن، فالحجاز بلد فقير في تلك الظروف، يعيش على هبات وإعانات العاصمتين بغداد والقاهرة، وقد وصف البشاري حال الجزيرة :" وفي أخلاق أهل مكّة جفاء، ولا ظرف لأهل اليمن، أهل عمان يطفّفون ويخسرون ويفسقون، الزنا بعدن ظاهر، أهل الأحقاف نواصب غتم، والحجاز بلد فقير قحط"[81].

واستمر الوضع غير آمن للسابلة ولا للحجيج حتى أن الركب الحجي انقطع مرات وسنوات، وازداد الأمر سواء بفرض المكوس على الحجاج من أبي طاهر القرمطي "وأخذ المكس من الحجاج ولم يعهد مثله في الإسلام"[82]، وصارت قوافل الحجيج تسير بالحماية والغفارة، ومن الغريب أن ينخرط بعض أشراف الحجاز المسنودين من قبائله البدوية في خلخلة الوضع، والذي استمر حقبة طويلة بعد موت أبي ذر، كما هو الوصف لهذا الوضع المهترئ من قبل الشاعر أبي المحاسن نصر الله بن عنين الدمشقي في هجاء أشراف الحجاز الذين سلبوه متاعه فكتب إلى العزيز بن أيوب حاكم اليمن ليردعهم، ويزهده في رغبة الملك الناصر إليه بالعودة للشام لحراسة الساحل الذي استرد من الفرنجة، وذلك حتى يعيد الأمن للحجاز[83].

6. أثر أبي ذر الهروي في المذهبين المالكي والأشعري.

من المقطوع به الأثر البالغ لأبي ذر الهروي في رسم الواحدية المذهبية لأقطار الغرب الإسلامي بعد القرن الخامس الهجري، وهي واحدية تميزت بسيادة المذهب المالكي على باقي المذاهب المنافسة هناك كالحنفي بالقيروان وتونس، والإباضي بالمغربين الأدنى والأوسط، وانصرام الإسماعيلية كلية من تلك الأصقاع، واضمحلال المذاهب الأخرى كالزيدية، والشيعية البجلية بالسوس، وضمور الظاهرية بالأندلس، وأخيرا الموات الفعلي للنحل المهرطقة مثل برغواطة وغمارة في المغرب الأقصى.

ذلك الأثر الفاعل يتبين بتتبع القناطر العلمية التي نهلت من أبي ذر في علمي الكلام والحديث، وهي قناطر مشهورة الأثر في بناء المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي كله أمثال الباجي في الأندلس، وأبي عمران الفاسي في القيروان، والذي يعد المرشد الأول للمشروع المرابطي الذي نجح في إقامة دولة مكينة في الغرب الإسلامي.

ويمكن استجلاء ما سبق ذكره من خلال تتبع الآثار المعنوية والعلمية للرجل في العلماء المغاربة كالآتي:

1.6: بناء الحصانة المذهبية لذى أبي ذر الهروي وتلامذته المغاربة.

فعلى كثرة شيوخه في الحديث إلا أنه كان ينتقى في السماع والرواية من خلال وصل أسانيده بالعلماء المجانبين للفرق المناوئة لأهل السنة مثل الإسماعيليين والشيعة، ومثال ذلك أنه رحل إلى مصر وعاصر الحافظ أبا محمد عبد الغني (308-409) صاحب "المؤتلف والمختلف"، إلا أن أبا ذر الهروي لم يرو عنه، بسبب مدهانته أو سكوته عن الفاطميين، تحرزا من استئصالهم له أيام الخليفة الحاكم بأمر الله، وقد صغر أمره العلمي بسبب تلك المداهنة بعد انقلاب الأحوال لصالح الفاطميين" كان علمه كاسدا بمصر لمكان الدولة الإسماعيلية"[84].

ولم يرو أبو ذر عن محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الشافعي (ت 454هـ)[85] لأنه تولى القضاء في الدولة العبيدية، على الرغم من مكانته العلمية في الحديث والرجال، فهو مؤلف كتاب الشهاب المشهور في الحديث[86].

وهو ما يحيل على القول برغبة أبي ذر في بناء حاجز نفسي وعلمي ضد هؤلاء المبتدعة الذين أذاقوا المالكية الهوان والعسف في القيروان، كما هو المعلوم من تراجم المالكية في تلك الحقبة الحالكة من حكم العبيديين للمغرب الأدنى والأوسط، وربما يكون كتابا السنّة ومعيشة النبي وصحابته لأبي ذر الهروي مندرجان في بناء تلك المصدّات ضد الدعوة الفاطمية.

2.6: أثره في الفقه والحديث وانتقال صحيح البخاري للغرب الإسلامي.

يعتبر أبو ذر أهم قناطر نقل صحيح البخاري للغرب الإسلامي، فجل الروايات من سنده العالي عن رواة الفربري الثلاثة، قال الذهبي: وهو راوي الصحيح عن الثلاثة: المستملي، والحموي، والكشميهني[87].

ومعلوم أن الأولية في نقل البخاري كانت من نصيب أبي الحسن القابسي الذي يعد أوائل أشاعرة الغرب[88]. والذي حج سنة (352هـ)، وسمع من "أبي زيد المروزي وأبي أحمد الجرجاني، روى عنهما البخاري، وهما عن الفربري عن البخاري وهو أول من أدخل رواية البخاري إفريقية، إلا أن سنده وسند أبي ذر الهروي وسند من أخذ عنه واحد يعود للفربري". ولكن الروايات المشتهرة بالمغرب كانت من طريق أبي ذر الهروي.

وأهم الرجال الذين رووا البخاري عن أبي ذر هم:

أ- أبو عبد الله المالكي القيرواني (ت 438هـ)، لقي أبا ذر و أخذ عنه كتاب البخاري، وألف كتابا في مناقب الإمام البخاري[89]، وهو والد أبي بكر عبد الله المالكي صاحب كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم.

ب-أبو عمرو و عثمان بن أبي بكر حمود الصفاقسي بابن الضابط (ت 444هـ)[90]، أخذ البخاري عن أبي ذر الهروي، ونقله للأندلس سنة (436هـ)، وعرفهم بكتاب غريب الحديث للخطابي، كما سبقت له رحلة بعد نجعة بعيدة إلى أصبهان حيث التقى وسمع الحافظ أبا نعيم الأصبهاني الشافعي الأشعري.

ج-الباجي: روى عنه البخاري قراءة، ويظهر أثره فيه في تأليفه لكتاب في أسماء رجال البخاري. كما روى عنه تاريخ البخاري أيضا[91]. كما نقل المغاربة عن أبي ذر بعض كتب الحديث الأخرى كتابي مسلم الصحيح والتمييز، وسنن أبي داود برواية اللؤلؤي، وكتب الدارقطني وابن أبي حاتم الرازي[92].

ولا ندري سند أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي (402هـ) صاحب كتاب النصيحة في شرح البخاري والذي يعد من أوائل شروحه، ولعله من سند الأصيلي أو القابسي لتقدم وفاة الداودي، ولأن الكتاب مفقود توجد منه مواضع نقلها ابن حجر والعيني والكرماني والقسطلاني في شروحهم على البخاري.

والمهم أن أكثر روايات البخاري السائدة بالغرب الإسلامي هي من رواية الباجي عن أبي ذر الهروي، أو روايات أبي علي الصَّدَفي بسنده عن أبي زيد المروزي بمكة (453هـ)، وببغداد سنة (459هـ)، وعن أبي أحمد الجرجاني عن الفربري، أو رواية إبراهيم بن معقل النسفي عن البخاري.

وبلغت العناية بهذا السند أن بعضهم اشترى الصحيح من ابنه أبي مكتوم، وهو ما فعله الأمير ميمون ابن ياسين الصنهاجي اللمتوني المرابطي :" فاشترى منه صحيح البخاري أصل أبيه الذي سمع فيه على أبي إسحاق المستملي وغيره بجملة كبيرة، وسمعه عليه في عدة أشهر قبل وصول الحجيج "[93].

وكمثال على الأثر الكبير للهروي في أسانيد الجزائريين الثلاثة من الأربعة المتصلة بالبخاري، فأشهرها هو السند المتصل بأبي ذر الهروي ، وهو من طريق علي بن الحفاف إلى أبي عبد الله بن منظور القيسي عن أبي ذر الهروي، وبينهما عشرون راويا مسندا[94].

أما أهم أثر لأبي ذر في المذهب المالكي فهو انعطاف العلماء المالكية للاعتناء بالدليل والتأصيل والشرح لكتب السنّة، بعدما كانت مدارسة المدونة هي مدار الرحى الذي يدور عليه الدرس العلمي بالقيروان والأندلس، فوجدنا عديد الشروح لكتب السنة تتناسل بعد هذا القرن، ويكفي الاستشهاد بعمل الباجي على الموطأ والصحيح، والمازري على مسلم، وعياض وابن عبد البر وابن العربي وغيرهم كثير، ومن أهم الأمثلة المبكرة على هذا "كتاب النّصيح في اختصار الصحيح" للإمام المهلب ابن أبي صفرة أبو القاسم الأسدي الأندلسي، الذي روى صحيح البخاري عن الأصيلي، وعن أبي ذر الهروي، كما أن له شرحا على الموطأ"[95].

ومن النماذج المتأثرة بالهروي العلامة المبرز في الحديث والإقراء عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني الذي كتب عقيدة سنية ربما تأسى فيها كتاب السنّة للهروي[96]، حيث يعد من شيوخه المباشرين[97]، وكان يجيزه ويتراسل معه على بعد الشقة بينهما، ومن الجزائريين المبكرين في التأليف في الشرح الحديثي أبو عبد الملك البوني (440هـ) حيث ترك شرحين مهمين، واحد على البخاري ينقل منه ابن حجر، والثاني على الموطأ[98].

ومن الفقهاء المبرزين الذين خدموا المذهب المالكي أبو عمران الفاسي الذي حج مرة أولى، ولقي الباقلاني (399هـ) ثم حج مرة ثانية سنة ولقي فيها أبا ذر (422هـ)[99]، وشكل حلقة علمية مالكية أشعرية بالقيروان، كان من ثمراتها انبعاث المشروع الرائد في الوحدة الإسلامية، وهو مشروع دولة المرابطين.

3.6: أثره في انتشار الأشعرية في الغرب الإسلامي.

الكلام عن مسارب الأشعرية للغرب الإسلامي طويل الذيل، إلا أن أثر أبي ذر الهروي في انتقال الأشعرية كبير وعميق باعتبار رمزية الهروي المحدث وراوي البخاري، وكذا باعتبار تلامذته الكبار المؤطرين للدرس الفقهي في الغرب الإسلامي أمثال الباجي في الأندلس، وأبي عمران الفاسي في القيروان، وعبد الحق الصقلي (ت 466هـ)، وعليه فقد اعتبر كثير من العلماء أبا ذر من ناقلي الأشعرية، كما قال ابن كثير: "ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعري عنه"[100].

وقال الذهبي مبينا الأثر العميق في انعطافة الدرس العقدي نحو الكلام عند المغاربة:" أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب، وبث ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب، والأندلس، وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصيلي، وأبو الوليد بن الفرضي، وأبو عمر الطلمنكي، ومكي القيسي، وأبو عمرو الداني، وأبو عمر بن عبد البر، والعلماء"[101].

ومن قبل قال ابن تيمية: "وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم، ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم، وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب، فإنهم كانوا

يسمعون عليه البخاري ويأخذون ذلك عنه، كما أخذه أبو الوليد الباجي، ثم رحل الباجي إلى العرق، فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب ابن الباقلاني"[102].

والظاهر أن انتماء الهروي للأشعرية كان من فجر شبابه كما يحكي أنه كان يختلف مع أبيه للباقلاني، وأنه من أوائل من أدخل الأشعرية للحرم المكي كما صرح به كثيرون، وهي قضية تحتاج مزيدا من الفحص والتنقيب. ومن الروايات العاضدة لهذا ما نقله ابن الجوزي في نقد ابن بطة:" أن أبا ذر كان من الأشاعرة المبغضين، وهو أول من أدخل الحرم مذهب الأشعري، ولا يقبل جرحه لحنبلي يعتقد كفره"[103].

كما ذكروا بأنه كان أحد أعمدة الخلاف مع أبي نصر السجزي الحنفي (ت 444 هـ بمكة)[104] في قضية الصفات الخبرية، حيث قال ابن تيمية:" وكذلك وقع بين أبي ذر الهروي وأبي نصر السجزي في ذلك، حتى صنف أبو نصر السجزي كتابه الكبير في ذلك المعروف بالإبانة"[105].

ولعل هذا التيار الأشعري قد تنامي في بلاد فارس وخرسان مبكرا، ويرجع ذلك إلى احتضان كبار المحدثين له أمثال أبي نعيم الأصبهاني، والحاكم، والبيهقي، وهو ما اعترف به ابن تيمية: "وأما أبو ذر الهروي وأبو بكر البيهقي وطائفة أخرى فهم مع ابن كلاب[106]. والظاهر أن هراة صارت من معاقل الأشعرية، وأن أبا ذر انخرط في الجدل مع أهل الإثبات من المحدثين، فقد نقل ابن تيمية عن الحسين بن أبي أمامة المالكي يقول: سمعت أبي يقول: لعن الله أبا ذر الهروي، فإنه أول من حمل الكلام إلا الحرم، وأول من بثه في المغاربة[107].

وهذا الكلام مجاف للحقيقة، فالأشعرية عرفت انتشارها منذ منتصف القرن الرابع، ودخولها للمغرب كان قبل أبي ذر مع القابسي وتلامذة الباقلاني، ولكنها ربما ازدادت وأخذت شرعيتها من تزاوج أخذ صحيح البخاري مع الكلام الأشعري عن الهروي.

وعلى الرغم من ذلك فقد قدم ابن تيمية شهادة في جهد أبي ذر الهروي قائلا:" أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من

المحاسن والفضائل ما هو معروف به، وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزي، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين لما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون، فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها"[108]. والأكيد أن رحلات الحج من أسباب انتشار الأشعرية، كما انتشرت قراءة نافع ومذهب مالك لذات السبب. وربما يترسم الأمر في توافر المترجمين على براعة أبي ذر الحجاجية، وسعة حفظه، وسمته وزهده، وتوجيهه لتلامذته إلى العراق للنهل من المداس الأصلية للكلام.

والمهم أن أهم ناقلي الأشعرية عنه هم أقطاب الدرس العلمي في الغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري أمثال الباجي، والفاسي وعبد الحق الصقلي، وقد تبارى هؤلاء في التأليف وتوجيه تلامذتهم نحو المصنفات الكلامية للأشعري والباقلاني وابن فورك. وسنجد هذا الأثر الأشعري المبكر في مؤلفات المغاربة قبيل وأثناء دولة المرابطين مع أعلام كبار ارتضوا المسلك الأشعري أمثال ابن أبي زيد، والقابسي، والأصيلي، وابن أبي زمنين، وأبي الحسين التنيسي، والمهلب بن أبي صفرة، ومروان البوني، وأبي عمرو الداني، ومكي بن طالب القيسي، وأبي العباس المهدوي صاحب التفسير الحافل، وكلهم ممن كتبوا أو شحنوا مؤلفاتهم بالنفس العلمي المقتبس والموافق لآراء أبي الحسن الأشعري في قضايا الإيمان والصفات والأسماء والأحكام.

الخاتمة:

يعسر الأمر في هذه الصفحات المعدودة الإحاطة بوضع المذهب المالكي في المشرق والحجاز أيام أبي ذر الهروي، وأثر هذا الأخير في إعطائه دفعة تأصيلية حديثية، وتزويده بنفس كلامي رصين مقاوم لبقايا الفرق المناوئة لأهل السنة في تلك الأصقاع، وهي فرق كانت من القوة بمكان حتى أنها أسست دولا كثيرة، ولكن البحث يخلص إلى النتائج الآتية:

أ-الوجود القليل للمذهب المالكي في بلاد خرسان وإيران في القرون الثلاثة الأولى بسبب النفوذ القوي للمدرسة الحنفية ثم الشافعية، وبعد تلك الديار عن مراكزه المكينة في المدينة ثم مصر والقيروان.

ب-تراجع حضور المذهب المالكي في المشرق بعد انصرام قرن أساطين المدرسة العراقية بعوامل كثيرة أهمها عزوف علمائه عن تقلد الوظائف القضائية، وصعود مذاهب أخرى سنية مثل الحنبلية، والهيمنة الكبيرة للأحناف.

ج-انمحاء المذهب كلية من الحجاز في القرنيين الرابع والخامس، وانقطاع طبقاته في مهده الأول بسبب صعود القرن الشيعي وظهور الدولة الفاطمية التي هيمنت على الحرمين، والتي كان المالكية أكثر أعدائها المناوئين لها سلفا في تونس والجزائر.

د-تراجع الحركة العلمية في الحجاز بسبب عدم استقرار أوضاعه، وكثرة تقلبات الحكم فيه بين أسر الأشراف، وتعرضه لهجمات القرامطة والأخضيريين، والأعراب، وأنصار الدعوة الفاطمية.

هـ-الجهد الكبير لأبي ذر الهروي في المحافظة على السند الحديثي، ونقل البخاري والكلام الأشعري للحجاج المغاربة.

و-يظهر أثر أبي ذر لائحا بينا في انعطاف الدرس العلمي وجنوحه نحو الدليل والتأصيل عند المغاربة والأندلسيين، بعدما كان منكبا على مدارسة المدونة والتعليق عليها، وسبب ذلك انتماء أبي ذر للمدرسة العراقية المهتمة بالدليل والخلاف العالي استجابة لتحديات المذاهب الأخرى المزاحمة كالأحناف والشافعية. ونجد ذلك الأثر ظاهرا في مؤلفات تلميذه الباجي ومستجزيه والموصولين بسنده أمثال ابن عبد البر القرطبي.

ز-اهتمام المالكية بعد أبي ذر بالمدونات الحديثية تحصيلا وتحملا وتحديثا، ويظهر ذلك في الاهتمام البالغ بالصحيحين وخاصة البخاري، وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والأجزاء الحديثية، والمستقرىء لكتب الفهارس والأثبات والمعاجم يدرك بجلاء تلك الرغبات الملحاحة من مالكية

الغرب في مزاحمة غيرهم في هذا الفن الشريف الذي كان منبعه ومأرزه حواضر الحجاز والعراق ومصر والشام.

ح-انفتاح المغاربة على الدرس الكلامي الأشعري، والتأسيس لشرعيته حتى طغى على التأليفات العقدية منذ أواخر أيام المرابطين بعدما كانت مؤلفات العقيدة على النمط التحديثي البسيط، فانتقلت إلى المنهجية العالية والبناء الرصين للأدلة، والنقد القوي لمقالات المخالفين، وانزياح الخوف كلية من علم الكلام الذي ظل مالكية الغرب متجافين عنه متابعة لسنن مدرسة المدينة والحجاز الأولى، وقد تأتت إحدى ركائز تلك الشرعية من أبي ذر حامل البخاري والمنافح عن الكلام الأشعري.

المصادر والمراجع:

-ابن الأبار البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، لبنان، دار الفكر للطباعة، 1995.

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط 1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1997.

- احنانة يوسف، تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003.

-الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق أبو لبابة حسين، ط 1، الرياض، دار اللواء، 1986.

- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت الحسيني، ط 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955.

- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق محمد رشاد سالم، ط 2، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود 1991.

-ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992.

-الحموي ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993.

- الحموي ياقوت، معجم البلدان، ط 2، بيروت، دار صادر، 1955.

-الخطيب أبو بكر، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002.

- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، ط2، بيروت، دار الفكر، 1988.

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.

- ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2009.

- الداودي، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983.

-الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003.

-الذهبي شمس الدين، تذكرة الحفاظ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.

-الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط 3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002.

- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي، ط 2، الرياض، دار هجر، 1413.

-سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993.

- ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، لبنان، دار الفكر، 1995.

-ابن عساكر، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1404.

-عياض القاضي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ط 1، المغرب، مطبعة فضالة، 1983.

- ابن فرحون، الديباج المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، 2005.

-ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار المعارف، ط1، 1986.

-كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، دار المثنى ودار إحياء التراث العربي، 1957.

-المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، ط1، تونس، دار سحنون، 2008.

-المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 1، طبعة ليدن، بيروت، دار صادر، 1991.

-المقري نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر. 1997.

- ميتز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، ط 5، القاهرة، دار الفكر العربي.

- النجار عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.

-اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.

المقالات والرسائل الجامعية.

-ابن أبي شنب محمد، الرجال الذين رووا صحيح البخاري وبلغوه لأهل الجزائر، مجلة المنهل، جامعة الوادي، مجلد 5، ع 1، جوان 2019.

- ابن الطاهر عبد الله، أبو ذر الهروي المالكي الحافظ المحدث المالكي، المغرب، مجلة المذهب المالكي، مركز الجنوب، ع 11، 2011.

- وسن سمين أمين، الحياة السياسية في الحجاز خلال العهد الفاطمي (358-567)، دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة بغداد، 2006.

الهوامش:

([1]) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 7 ص 229 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 554 ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2 ص 132 ؛ شجرة النور، رقم (304)، ص 104 ؛ الزركلي، الأعلام، ج 4 ص 66.

([2]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 37، ص 390 ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 9 ص 450.

([3]) المقري، نفح الطيب، ج 2 ص 71.

([4]) ياقوت، معجم البلدان، ج 5 ص 396.

([5]) كحالة، معجم المؤلفين، ج 5 ص 65.

([6]) سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 558. ونقل من كتاب الباجي "اختصار فرق الفقهاء"؛ المقري، نفح الطيب، ج 2 ص 509.

([7]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 8 ص 520. ج 9 ص 540.

([8]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (505)، ج 7 ص 199، (4413)، ج 37 ص 391.

([9]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 555.

([10]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 555 ؛ ابن فرحون، الديباج، ج 1 ص 167.

([11]) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 7 ص 72.

([12]) اليافعي، مرآة الجنان، حوادث (397)، ج 2 ص 338 ؛ ترتيب المدارك، ج 7 ص 70.

([13]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 72.

([14]) ترتيب المدارك، ج 6 ص 180 ؛ ابن فرحون، الديباج، ج 1 ص 267.

([15]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 230.

([16]) سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 555.

([17]) سير أعلام النبلاء، ج 8 ص 67.

([18]) عياض، ترتيب المدارك، ج 7 ص 231.

([19]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 84. وعنه انظر سير اعلام النبلاء، ج 17 ص 103؛ الأعلام، ج1 ص 193.

([20]) الخطيب، تاريخ بغداد، 12 ص 456 ؛ ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص 255.

([21]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 229 ؛ مخلوف، شجرة النور رقم (304).

([22]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 10 ص 794 ؛ سير أعلام النبلاء، ج 19 ص 172.

([23]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 233 ؛ وانظر شجرة النور، رقم (304).

([24]) فهرسة ابن خير، وذكره بعنوان "المسند المؤلّف على الصحيحين" رقم (680)، ص 357؛ نفسه، رقم (142)، ص 125.

([25]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 559.

([26]) الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ج 1 ص 310؛ فهرسة ابن خير، رقم (337)، ص 255

([27]) فهرسة ابن خير، وسماه "الربا واليمين الفاجرة وشهادة الزور" رقم (676)، ص 357.

([28]) فهرسة ابن خير، رقم (757)، ص377.

([29]) فهرسة ابن خير، رقم (115)، ص 104. الدّعوات، رقم (672)، ص 357.

([30]) فهرسة ابن خير، وسماه "العيدين" رقم (675)، ص 357.

([31]) الداودي، طبقات المفسرين (318)، ج 1 ص 374؛ فهرسة ابن خير، الرؤيا والمنامات، رقم (559) و (673).

([32]) فهرسة ابن خير، وسماه كتاب المعجم، رقم (221) ص 198 ؛ نفسه، فهرسة الشّيخ أبي ذر الهروي (1273)، ص 525.

([33]) ذكره مخلوف في شجرة النور رقم (304)، ص 156؛ سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 560.

([34]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 233؛ فهرسة ابن خير، رقم (531)، ص 320؛ سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 560.

([35]) انظر سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 559.

([36]) فهرسة ابن خير (674)، ص 357 ؛ سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 560.

([37]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 559.

([38]) فهرسة ابن خير رقم (589)، ص 242.

([39]) ابن خير رقم (678)، ص 357.

([40]) فهرسة ابن خير رقم (679)، ص 357، وفي بعضها "الجعرانة وخيبر" وهو وهم.

([41]) انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 556 ؛ وانظر الصلة لابن بشكوال في مواضع عديدة، ومنها ترجمة ابن دلهاث:" وصحب الشيخ الحافظ أبا ذر عبد بن أحمد الهروي وسمع منه صحيح البخاري مرات" الصلة، ص 69.

([42]) ابن بشكوال، الصلة، ص 657.

([43]) عبد الله بن الطاهر، أبو ذر الهروي المالكي الحافظ المحدث المالكي، المغرب، مجلة المذهب المالكي، ع 11، ص 174.

([44]) ابن خير الإشبيلي، الفهرسة، رقم (859) ص 39 ؛ نفح الطيب ج 2 ص 69.

([45]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 561.

([46]) ابن خير الإشبيلي، الفهرسة، رقم (859)، ص 416 ؛شجرة النور، رقم (322)، ص 162.

([47]) فهرسة ابن خير، نفسه، رقم (1027) ص 496.

([48]) فهرسة ابن خير، رقم (1030)، ص 470. ورقم (1055)، ص 478.

([49]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 231.

([50]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 559؛ نفح الطيب، ج 2 ص 70.

([51]) عياض، ترتيب المدارك، ج 1 ص 24.

([52]) ياقوت، معجم البلدان مادة (أبهر)، ج 1 ص 83.

([53]) ترتيب المدارك، ج 1 ص 25 ؛ الديباج، ج 2 ص 183.

([54]) ياقوت، معجم الأدباء، ج 1 ص 411 ؛ سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 104.

([55]) ترتيب المدارك، ج 1 ص 65.

([56]) ترتيب المدارك، ج 6 ص 189.

([57]) شجرة النور، تراجم رقم 730-731.

([58]) شجرة النور، رقم (1075).

([59]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 1 ص 233.

([60]) انظر تاريخ بغداد، ج 11 ص 47 ؛ الكامل، ج 8 ص 152 ؛ سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 132 ؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 333 ؛ تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 342.

([61]) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 8 ص 216 ؛ تاريخ دمشق (10741)، ج 51 ص 50 ؛ البداية والنهاية، ج 11 ص 322.

([62]) البداية والنهاية، ج 11 ص 277.

([63]) اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 ص 204 ؛تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 128

([64]) البداية والنهاية، ج 11 ص 233.

([65]) محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 202.

([66]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7 ص 674.

([67]) انظر تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 126 ؛ معجم البلدان، ج 4 ص 319.

([68]) مما يذكر هنا أن اللغوي الكبير أبا منصور الأزهري (ت 370هـ) جمع مادة لغوية ثرة أيام أسره من قبل القرامطة. انظر ياقوت، معجم الأدباء، رقم (965)، ج 5 ص 2322؛ سير أعلام النبلاء، ج 16 ص 316.

([69]) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (352هـ)، ج 8 ص 11.

([70]) البداية والنهاية، ج 11 ص 328.

([71]) البداية والنهاية، ج 12 ص 79.

([72]) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج 1 ص 119.

([73]) سير أعلام النبلاء ج 18 ص 231.

([74]) انظر السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص 399 ؛ تبيين كذب المفتري، ص 110 ؛ المنتظم، ج 15 ص 340.

([75]) سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 113 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج 8 ص 166.

([76]) وفيات الأعيان، ج 5 ص 138؛ الكامل، ج 8 ص 358 ؛ شذرات الذهب، ج 3 ص 301.

([77]) انظر سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 204؛ وعن دولة السليمانيين والهواشم انظر تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 128-132.

([78]) سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 196.

([79]) تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 274 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 359.

([80]) وسن سمين أمين، الحياة السياسية في الحجاز خلال العهد الفاطمي (358-567)، ص 192.

([81]) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 103.

([82]) تاريخ ابن خلدون، ج 4 ص 129.

([83]) انظر وفيات الأعيان ج 4 ص 202 ؛ البداية والنهاية، ج 13 ص137 ؛ معجم الأدباء (1117)، ج 6 ص 2661.

([84]) سير أعلام النبلاء، ج 16 ص 268- 485؛ البداية والنهاية، ج 12 ص 7 ؛ شذرات الذهب، ج 3 ص 188.

([85]) سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 92 ؛ طبقات السبكي، ج 4 ص 150 ؛شذرات الذهب، ج 3 ص 293.

([86]) سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 92، وقد حقق كتاب الشهاب حمدي السلفي وصدر عن دار الرسالة سنة (1986).

([87]) سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 555.

([88]) يوسف احنانة، تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص 67 ؛ تبيين كذب المفتري، ص 122.

([89]) شجرة النور، رقم (318)، ص 161.

([90]) شجرة النور، رقم (322)، ص 162.

([91]) الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ج 1 ص 275.

([92]) ابن خير، نفسه، رقمي (380)، (383)؛ الباجي، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ج 1 ص 275.

([93]) ابن الآبار، التكملة، رقم (530)، ج 2 ص 196 ؛سير أعلام النبلاء، ج 19 ص 172.

([94]) محمد بن أبي شنب، الرجال الذين رووا صحيح البخاري وبلغوه لأهل الجزائر، مجلة المنهل، مج 5 ع 1، صص 15-19.

([95]) انظر المدارك، ج 8 ص 35 ؛ الديباج، ج 2 ص 234 ؛ ابن بشكوال، الصلة، ص 562.

([96]) طبعت باسم : الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات" ،وبعض من هذه العقيدة في "الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات"، وفيه تنويه بالأشعري، وهجوم على المعتزلة وأهل البدع.

([97]) انظر الداني، السنن الواردة في الفتن، أبي عمرو الداني، رقم (455 و481) ؛ المحكم في نقط المصاحف، ص 33.

([98]) ترتيب المدارك، ج 7 ص 259 ؛ الديباج، ج 2 ص 339 ؛شجرة النور، رقم (349).

([99]) قال الذّهبي: "مات أبو عمران الفاسي قبل أبي ذر، وكان قد لقي القاضي بن الباقلاني والكبار". السير، ج 17 ص 561.

([100]) البداية والنهاية، ج 12 ص 64.

([101]) سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 557.

([102]) ابن تيمية، درأ تعارض العقل والنقل، ج 1 ص 271

([103]) ابن الجوزي، المنتظم، ج 14 ص 319.

([104]) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ص 654.

([105]) ابن تيمية، درأ تعارض العقل والنقل، ج 1 ص 168.

([106]) ابن تيمية، درأ تعارض العقل والنقل، ج 2 ص 10.

([107]) المصدر نفسه، ج 2 ص 101.

([108]) درأ تعارض العقل والنقل، ج 2 ص 101.